

وبين خطب رنانة ومقالات عابرة، وليس معنى هذا أننا نقلل من قيمة أي مجهود بذل، فكل مجهود فردي سبقنا كان له تأثيره، ولكن في محيط محدود، ولزمن محدود، وسيجزي الله كل مجاهد عن الإسلام بمقدار ما قدم، ولعلنا انتفعنا كثيراً من تلك المحاولات الفردية، بل إننا على ضوء تلك الجهود أدركنا أن وضع الدعوة على أساس علمي مدروس، وعلى أكتاف رجال لهم قيمة ومكانة يضمن لها النجاح الشامل، كما يكتب لها الخلود، لأن كل علاج على أساس عاطفي سرعان ما يزول.

إن إثارة العواطف أمر سهل ميسور، وإن كلمة تلقي في ظروف مناسبة كفيلاً بأن تحرك العواطف وتهز القلوب، لكن هذا التأثير بقدر ما يكون سهلاً سريعاً تزول آثاره بنفس السرعة والسهولة بزوال الظروف المؤاتية، أو بطرود طارئ جديد، والعواطف كما يمكن إثارتها لفكرة ما، يمكن أن تثار على نفس الفكرة إذا هيجت ضدها، وإذا فرض وأثرنا اليوم على فرد من الأفراد أو مجموعة من الناس، فكيف نضمن غداً أن هذا الفرد أو هذه المجموعة لا تقع تحت تأثير من يخالفنا.

إن الرجل قد يكون من القوة الروحية والمنطقية بحيث يؤثر فيمن يستمع إليه، إلا أن ذلك التأثير محدود طبعاً بزمانه وبسامعيه، ومثل هذا لا يناسب دعوة تريد أن تبقى كأساس حي يرجع إليه في أي زمان ومكان، فلا بد لها إذن من قواعد محددة، وآثار ثابتة، لتبقى كمرجع ثابت قوي، ولعل هذا يفسر لنا سر الإحياء إلى كل نبي من المرسلين بكتاب سماوي، وليكون المرجع الثابت والأثر الباقي الذي يحكم الناس بقواعده، ويرجعون إلى تعاليمه.

وكيف يمكن أن تعالج على أساس عاطفي مشكلة عمرت قرونًا، وملأت صحائف التاريخ، وتحصنت وراء الأعلام المفارقة أحياناً، والمأجورة في أكثر الأحيان، مشكلة رسخت في النفوس أوهاماً أصبح الناس يعتبرونها حقائق ثابتة.

تلك هي مشكلة كل فريق في كل ما يصدر عن الفريق الآخر، بل في كل ما يعتقد به، مشكلة بغض كل فرقة للآخرى، واتخاذ البغض شعاراً يدفع إلى تصديق كل ما يقال في الخصوم، بل توهم كل ما ليس بحسن وإصافه بالخصوم.